The Infallible Discourse

A Study on the Difference between the Eloquence of Revelation and the Eloquence of Prophetic Conveyance

البيان المعصوم

دراسة في الفرق بين بلاغة التنزيل وبلاغة التبليغ

م. أحمد جلعو اذياب
Ahmed Jalao Adiab
تربية محافظة نينوى
Nineveh Governorate Education
ahmadalmosely2018@gmail.com

المستخلص:

تَقُوْمُ هَذِهِ الدِّرَاسَةُ عَلَىْ بَيَانِ الفُرُوقِ بَيْنَ بَلَاغَةِ التَّنْزِيلِ المُتَمَثِّلَةِ بِالبَلَاغَةِ القُرْآنِيَّةِ، وَبَلَاغَةِ التَّبْلِيْغِ المُتَمَثِّلَةِ بِبَلَاغَةِ الحَدِيْثِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيْفِ؛ فِيْ تَعْرِيفِهِمَا وَأَثَرِهِمَا، وَفِيْ سِمَاتِهِمَا وَخَصَائِصِهِمَا، وَفِي مَصْدَرِهِمَا وَأُسْلُوْبِهَمَا، وَكَذَلِكَ فِيْ التَّرْكِيْبِ البَلَاغِي وَالتَّصْوِيرِ الفَنِّيّ، وَفِي الوَظِيْفَةِ البَلَاغِيَّةِ وَأَثَرِهَا فِيْ المُتَلَقِّي، مَعَ ذِكْرَ نَمَاذِجَ تَطْبِيقِيَّةٍ مُقَارَنَةٍ لِنُصُوْصٍ مُتَشَابِهَةٍ فِيْ المَوْضُوْعِ. عَلَّهَا تَكُوْنُ نِبْرَاسَاً لِمَنْ شَاءَ التَّوَسُّعَ فِي هَذَا العِلْمِ الجَمِيْلِ؛ عِلْمَ الفُرُوْقِ البَلَاغِيَّةِ.

الكلمات الافتتاحية: القرآن الكريم، الحديث النبوي الشريف، البيان المعصوم، بلاغة التنزيل، بلاغة التبليغ، البلاغة، البلاغة القرآنية، بلاغة الحديث، الفروق البلاغية، المعاني، البيان، البديع.

Abstract

This study is dedicated to elucidating the key differences between the eloquence of Divine Revelation - embodied in the Qur'anic discourse - and the eloquence of Prophetic Conveyance - manifested in the noble Hadith. It explores their respective definitions and rhetorical impacts, their distinguishing features and communicative functions, as well as their sources and stylistic characteristics. Furthermore, it examines aspects of rhetorical structure, artistic imagery, and the persuasive function of each

genre and its effect on the recipient. The study is supplemented with comparative applied models of thematically related texts. It is hoped that this work will serve as a beacon for those seeking to further explore this refined discipline: the science of rhetorical distinctions.

Keywords: The Holy Qur'an, The Noble Prophetic Hadith, The Infallible Discourse, The Eloquence of Revelation, The Eloquence of Prophetic Conveyance, Rhetoric, Qur'anic Rhetoric, Prophetic Rhetoric, Rhetorical Distinctions, Semantics, Figurative Expression, Rhetorical Embellishment.

المقدمـة

الحمدُ للهِ الَّذِي أَنزلَ كِتابَهُ بِلِسَانٍ عربِيٍّ مُبِينٍ، وَجَعَلَ فِي بَيَانِهِ مُعْجِزَةً خَالِدَةً لِلْعَالَمِينَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ على مَنِ اوْتِيَ جَوامِعَ الكَلِمَ، وَمَجَامِعَ الحِكَمِ؛ فكانَ بَيَانَهُ هُدَىً وَرَحْمَةً للسَّالِكِينَ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ.

أَمَّا بعدُ..

فإِنَّ البلاغة روضة المعاني وَميدان البيان تُختَبَرُ فيهِ قُدرَةُ القلمِ وَاللسانِ، ويظهر فيه سمو المعنى وجمال المبنى، وإذا كان الكلام البليغ يُقاسُ بجزالة اللفظ، ودقة المعنى[1]، وسلامة التركيب، مع قوةِ النظم، وحُسنِ القصد؛ فإِنَّ أَولى النصوص بالدرس البلاغي والتحليل البياني هما القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف؛ لأَنَّهُما أَصل البيان، ومنبع اللغة، وموطن الإعجاز. ففي القرآنِ سمُوُّ المعاني، وإعجاز المباني، وبهاء التصوير، وعلو الإيقاع، وفي حديثِ النَّبِيِّ ﷺ دِقَّةُ التَّعبيرِ، وَوضُوحُ الدَّلالةِ، وَبَراعةُ التَّبليغِ.

والمرادُ ببلاغةِ التَّنزيلِ البلاغةُ الخاصَّةُ بالنصِّ القُرآني المعصومِ، والمرادُ بالتَّنزيلِ الإِشَارةُ إِلى القُرآنِ الكريمِ، كَلامِ اللهِ المُنَزَّلِ على رسُولِ اللهِ ﷺ بِوَاسِطَةِ جِبريلَ عليهِ السَّلامُ. فَهِي بلاغةٌ إِلَهِيَّةُ المَصْدَرِ، رَبَّانِيَّةُ الصِّيَاغَةِ، مُعْجِزَةُ النَّظْمِ، بَلْ هِيَ أَعلى درجاتِ البَلاغَةِ. وَمِمَّا تَمْتَازُ بِهِ بَلَاغةُ التَّنزِيلِ: الإِعجَازُ وَالتَّحَدِّي، وَالكَمَالُ وَالجَلَالُ، والمُنَاسَبَةُ التَّامَّةُ لِسِيَاقَاتِهَا الزَّمَانِيَّةِ وَالمَكَانِيَّةِ وَالحَالِيَّةِ، فضلاً عن تَنَاسُبِهَا المُطْلَقِ بَينَ المَبْنَى وَالمَعْنَى.

أَمَّا بَلاغَةُ التَّبلِيغِ، فالمُرادُ بِهَا بَلَاغَةُ النَّبِيِّ ﷺ فِي أَحَادِيثِهِ وَأَقوالِهِ وَخُطَبِهِ، وَهِيَ بَلاغَةُ المُبَلِّغِ البَشَرِيِّ المَعْصُوْمِ، فَهِيَ وإِن لَمْ تَكُنْ وَحْياً لَفْظِيّاً كَالتَّنزِيلِ، لَكِنَّهَا بَلاغَةٌ نَبَوِيَّةٌ مُؤَيَّدَةٌ بِالوَحِي فِي المَعْنَى، فَضْلاً عَنْ سَلَامَةِ الفِطْرَةِ اللُّغَوِيَّةِ وَالبَيَانِيَّةِ كَوْنَهُ ﷺ أَفْصَحَ العَرَبِ.

(١) وَإِنْ كانَ اللَّفظُ هُوَ صُورةُ المَعْنَى، كَمَا يَرَى د. مُحَمَّد العُمَرِي، إِلَّا أَنَّ لِكُلٍّ مِنْهُمَا خَصَائِصَ تَقْضِي بِنَوعٍ مِنَ الفَصْلِ. يُنْظَرُ: البَلاغَةُ العَرَبِيَّةُ أُصُوْلُهَا وَامْتِدَادَاتُهَا: ٣٦٦.

وَمِنْ أَهَمِّ مُمَيِّزَاتِهَا الاقْتِصَارُ اللُّغَوِيُّ وَالاخْتِصَارُ الكَلِمِيُّ؛ إِذْ كَانَ ﷺ يَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَاتِ القَلِيلَةِ الَّتِي تَحْمِلُ المَعَانِيَ الكَثِيْرَةَ، وَهُوَ مَا يُسَمَّى بِـ(جَوَامِعِ الكَلِمِ) وَ(مَجَامِعِ الحِكَمِ)، وَمِنْهَا مُطَابَقَةُ الحَالِ لِلْمَقَامِ، وَتَنَوُّعُ الأَسَالِيبِ، وَسَلَاسَةُ التَّعْبِيرِ، وَقُوَّةُ التَّأْثِيْرِ؛ لِمَا لَهَا مِنْ رُوْحَانِيَّةٍ فِي المَعَانِي، وَمِصْدَاقِيَّةٍ فِي الخِطَابِ وَبَيَانٍ فِي الدَّلَالَةِ.

وَمَعَ اتِّفَاقِ المَصْدَرَيْنِ فِي كَوْنِ كُلٍّ مِنهُمَا وَحْيَاً مِنَ اللهِ تَعَالَى، إِلَّا أَنَّ القُرْآنَ الكَرِيمَ مُعْجِزٌ بِلَفْظِهِ وَمَعْنَاهُ، أَمَّا الحَدِيْثُ النَّبَوِيُّ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ بِلَفْظِهِ، وَإِنْ كَانَ قَدْ بَلَغَ فِيْهِ مَبْلَغَاً بَعِيْدَاً وَشَأْوَاً عَظِيْمَاً.

وَلَكِنْ ثَمَّة فُرُوْقٌ جَوهَرِيَّةٌ بَينَهُمَا مِن حيثُ التركيبِ وَالأُسلوبِ والغايةِ والتَّأثيرِ البلاغِي، وَهُنَا تَكْمُنُ إِشكاليةُ البحثِ فِي التَّمييزِ الدَّقيقِ بينَ خَصَائصِ البلاغةِ القُرآنيةِ وَالبلاغةِ النَّبويةِ؛ إِذْ كُلٌّ مِنهُما يتمتعُ بِخَصَائصِ تُمَيِّزُهُ عَنِ الأَخَرِ سَوَاءً فِي النَّظمِ والصُّورةِ والوظيفةِ، وَهذا ما سَنُحَاوِلُ إِثباتَهُ فِي ثنايا هذا البَحثِ مستخدمين المنهجَ الوصفِي فِي أَوَّلِ البحثِ، والمَنهَجَ التحليلِي فِي أَخِرِ البحثِ، مَعَ إِجراءِ مُقارنةٍ تحليليةٍ لِنصُوصٍ مُخْتَارَةٍ مِنْهُمَا.

وَمِنْ هُنَا تَنْبَعُ أَهَمِيَّةُ هَذَا البَحْثِ الَّذِي يُعَالِجُ الخَصَائِصَ البَلَاغِيَّةَ فِي القُرآنِ الكَرِيمِ وَالحَدِيثِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيْفِ، وَيَكْشِفُ عَنْ أَوجُهِ الاتِّفَاقِ وَالافْتِرَاقِ بَيْنَهُمَا مِنْ حَيْثُ البِنَاءِ البَلَاغِيِّ وَالتَّأثِيرِ الفَنِّيِّ وَالأُسْلُوبِيِّ وَالنَّفْسِيِّ.

الباحث

خطة البحث:

المبحثُ الأَوَّلُ: بلاغةُ القرآن الكريم:

المَطْلَبُ الأَوَّلُ: تعريف بلاغة القرآن وأثرها في التفسير والبيان

المَطْلَبُ الثَّانِي: سِماتُ الأُسلوب القرآني (التركيب، الإيقاع، الصورة الفنية)

المَطْلَبُ الثَّالِثُ: وظائف البلاغة في القرآن الكريم (الإعجاز، الهداية، التصوير الذهني)

المبحث الثَّانِي: بلاغة الحديث النبوي:

المَطْلَبُ الأَوَّلُ: بلاغة النبي ﷺ بين الإلهام والفطرة

المَطْلَبُ الثَّانِي: السمات البلاغية في الحديث (الإيجاز، التمثيل، التكرار، والتناسب)

المَطْلَبُ الثَّالِثُ: الوظيفة البلاغية للحديث الشريفِ (التعليم، التوجيه، التأثير)

المبحث الثَّالِثُ: الفروق البلاغية بين القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف

المَطْلَبُ الأَوَّلُ: الفرق في المصدر والوضع والأُسلوب العام

المَطْلَبُ الثَّانِي: الفرق في التركيب البلاغي والتصوير الفني

المَطْلَبُ الثَّالِثُ: الفرق في الوظيفة البلاغية وتأثيرها في المتلقي

المبحث الرَّابِعُ: نماذج تطبيقية مقارنة

المَطْلَبُ الأَوَّلُ: تحليل بلاغي لنص قرآني وآخر حديثي في موضوع مشترك

المَطْلَبُ الثَّانِي: أَثر الفروق البلاغية في البناء المعنوي والأُسلوبي

الخاتِمَة: وَفِيهَا بعضُ النتائجِ المستخلصةِ والتوصياتِ المقترحة

المبحث الأَوَّلُ: بلاغة القرآن الكريم:

المَطْلَبُ الأَوَّلُ: تعريفُ بلاغة القرآن و أَثرها في التفسيروالبيان:

تُعْرَفُ بَلَاغَةُ القُرْآنِ الكَرِيمِ بِأَنَّهَا: ذَلِكَ الأُسْلُوبُ الإِلَهِيُّ المُعجِزُ فِي التَّعْبِيرِ عنِ المَعَانِي بَأَرقَى صُوَرِ البَيَانِ العَرَبِي وَأَبْلَغَهَا[١]، فقد جَمَعَتْ بَيْنَ عُمْقِ الدَّلَالَةِ، وَدِقَّةِ الأَدَاءِ، وَرَوْعَةِ التَّصْوِيرِ، وَجَمَالِ النَّظْمِ، مَعَ تَمَامِ التَّطَابُقِ بَيْنَ اللَّفْظِ وَالْمَعْنَى.

وَقَدْ كَانتِ البَلَاغَةُ القُرآنِيَّةُ مِحْوَرَ التَّحَدِي الَّذِي أُقِيْمَ عَلَىْ العَرَبِ حِيْنَ قَالَ تَعَالَى ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ (الطور:٣٤). ثُمَّ تَحَدَّاهُمْ بِجَمِيْعِ مَا أُوْتُوا مِنْ فَصَاحَةٍ أَنْ يَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ، ثُمَّ بِسُوْرَةٍ وَاحِدَةٍ، فَعَجَزُوْا جَمِيْعاً عَنِ الإِتْيَانِ بِمِثْلِ آيَةٍ مِنْ آيَاتِهِ، فَأَدْرَكُوْا مِنْ خِلَالِ عَجْزِهِمْ أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ كَلَامِ البَشَرِ، بَلْ هُوَ مِنْ كَلَامِ خَالِقِ القُوَى وَالقَدَرِ[٢]؛ وَمَا ذَلِكَ إِلَّا لِكَوْنِهِ " بَدِيْعَ النَّظْمِ عَجِيْبَ التَّأْلِيْفِ، مُتَنَاهٍ فِيْ البَلَاغَةِ إِلَىْ الحَدِّ الَّذِي يُعْلَمُ عَجْزُ الخَلْقِ عَنْهُ"[٣]. وَبَلَاغَتُهُ فِي عُيُونِ أَهْلِ البَلَاغَةِ كَالدُّرَّةِ الَّتِي تُرَى فِي سِلْكٍ مِنْ خَرَزٍ، وَكَالْيَاقُوْتَةِ فِي وَسَطِ العِقْدِ، ...، وَهِيَ غُرَّةُ جَمِيْعِهِ، وَوَاسِطَةُ عَقْدِهِ، وَالْمُنَادى على نفسِهِ، بتميزِهِ وتخصُّصِهِ بَرونَقِهِ وَجَمَالِهِ[٤].

(١) يُنظرُ: إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق الرافعي: ١٠٢.
(٢) يُنظرُ: دراسات في علوم القرآن، محمد بكر إسماعيل: ٣٣١.
(٣) إعجاز القرآن للباقلاني، أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب: ٦٩.
(٤) يُنظر: من بلاغة القرآن، أحمد أحمد عبد الله البيلي البدوي: ٤٨.

وَالبَلَاغَةُ القُرآنِيَّةُ لَيْسَتْ مُجَرَّدَ جماليةٍ شكليَّةٍ، بَلْ هِيَ أُسْلُوْبٌ مَقْصُوْدٌ لِلْهِدَايةِ والتربيةِ والتَّشْرِيعِ، فَهِي بلاغةٌ مُقترِنَةٌ بِالغَرَضِ وَالمَقْصَدِ؛ وَلِذَلِكَ كَانَ فَهْمُ البَلَاغَةِ القُرآنِيَّةِ ضَرورةً لِلمُفَسِّرِ والدَّاعِيَةِ والخطيبِ.

المَطْلَبُ الثَّانِي: سِمَاتُ الأُسْلُوبِ القُرْآنِي (التَّرْكِيْبُ، الإِيْقَاعُ، الصُّوْرَةُ الفَنِّيَّةُ)

١. **التَّرْكِيْبُ المُعْجِزُ:**

يَتَمَيَّزُ القُرْآنُ بِتَرَاكِيْبٍ خَاصَّةٍ تَجْمَعُ بَيْنَ الإِيْجَازِ وَالعُمْقِ، وَبَيْنَ الفَصَاحَةِ وَالمُرُوْنَةِ، وَهُوَ بِهَذِهِ الخَصِّيْصَةِ نَسِيْجُ وَحْدَهُ، وَمِنْ أَهَمِّ خَصَائِصِ هَذَا التَّرْكِيْبِ[١]:

- الالْتِفَاتُ وَالعُدُوْلُ
- التَّقْدِيمُ وَالتَّأْخِيْرُ
- التَّضْمِيْنُ وَالتَّعْرِيْضُ
- الإِيْجَازُ وَالإِعْجَازُ
- حَذْفُ مَا يُعْلَمُ مِنَ السِّيَاقِ، وَيُغْنِي عَنْهُ البَيَانُ، وَغَيْرُهَا كَثِيرٌ.

٢. **الإيقاع الموسيقي:**

الإيقاع في القرآن الكريم ليس سجْعَاً مُصْطنَعَاً، ولا جِنَاسَاً مُتَكَلَّفَاً، بل تناغماً طبيعيَّاً في الجُمَل، تدعو فيه محاسنُ الألفاظِ أُخيَّاتِهَا مِنَ جميلاتِ المعاني، كما تدعو الأَجساد أَرواحها لتأتلفَ مَعَهَا فِي نسقٍ ينبضُ بالحياةِ، فَالأُسْلُوبُ القُرآني لهُ نَظْمٌ خاصٌ، وجَرَسٌ لا تَجِدُهُ فِي غَيرِهِ، ومُوسِيقَى خَفِيَّةٌ تَهُزُّ السَّامِعَ هَزًّا، ولو لم يَفهَمِ المَعْنَى كامِلاً. ولا حرج من استعمالِ مُصْطَلَحِ «الإيقاع الموسيقى» في دراسة الأُسلوب الفني في القرآن، لِأَنَّ القرآن جاء بلغة العرب، ويجري وفق أَساليبهم في التعبير، فهو معجز ببيانه الفني، والإيقاع جزء من الأُسلوب الفني[٢]. وَيَظْهَرُ جَمَالُ الإِيقاعِ الموسيقى في فواصِلِ الآياتِ وخواتيمِهَا، وسَجْعَاتِ الآياتِ وَجِنَاسَاتِهَا، التَّوَازُنِ الصَّوْتِي الَّذِي يُسْهِمُ فِي الخُشُوْعِ وَالتَّأَثُّرِ.

٣. **التصوير الفني:**

التشبيه والاستعارة والكناية، كلها واردة في القرآن بأُسلوبٍ لا يُضَاهى؛ ففي قولِهِ تعالى: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا﴾ (البقرة:١٧). تشبيهٌ تمثيليٌّ مُركبٌ حيث شبَّهَ حالَ المنافقين الذين ادَّعوا الإيمان ثم كفروا، بحال شخصٍ استوقد ناراً ليستضيءَ بها، فلما أَضاءت ذهب الله بنورهم. وقد حذف وجه الشبه من الآية وهو الخذلان بعد الأَمل، كُلَّما ظَنَّ مُستوقدُ النَّارِ أَنَّهُ سيهتدي، انطفأَ ضَوؤُهَا، كذلكَ ظَنُّ المنافقون أَنَّهُم مع المؤمنين، فكشف الله أَمرَهم. ففي الآية تصوير نفسي عميق لحالة الضياع، والانقطاع بعد نورٍ مؤقت، فالاستعارة فيه تُصوير

(١) يُنْظَرُ: نِهَايَةُ الإِيْجَازِ فِي دِرَايَةِ الإِعْجَازِ، الرَّازِيُّ: ٣٤٧.

(٢) وَظِيفَةُ الصُّورَةِ الفَنِّيَةِ فِي القُرآنِ، عَبدُ السَّلامِ أَحمد الرَّاغِب: ٥٤.

للعقيدة الضالة وكأَنَّهَا نار تنطفئُ فجأَةً. وقد وظَّفَ النَّصُّ عُنصُرَ الضوء والظلام لِيزيدَ الأَثرَ النَّفسِي. فهذا التصوير الفني العميق يؤثر في النفس، ويقرب المعنى للعقل في مشهد متكامل يعين على فهم المعنى وتعميقه. لا تجدهُ في غير القرآن.

المَطْلَبُ الثَّالِثُ: وظائف البلاغة في القرآن الكريم (الإعجاز، الهداية، التصوير الذهني)

أَوَّلًا: الإعجاز:

البلاغة في القرآن معجزة بحد ذاتها، ووجه من وجوه الإعجاز، تتجلَّى في التركيب، والتنسيق، التناسب بين الأَلفاظ والمعاني؛ ففي قولهِ تعالى: ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُّنْهَمِرٍ﴾ (القمر:١١)، يقول أَهل البلاغة: إِنَّ في الآيةِ استعارةٌ[١] مكنيةٌ وتخييلٌ حِيٌّ؛ حيثُ شُبِّهَتِ السَّماءُ وَكَأَنَّ لهَا أَبوابًا تُفتَحُ، والماءُ وَكَأَنَّهُ جَيْشٌ مُنْهَمِرٌ يَقْتَحِمُ الأَرْضَ. استعارةٌ تَصْنَعُ مَشْهَداً عَجِيباً لِحَجْمِ المَطَرِ النَّازِلِ. وَقَوْلُهُ: (بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ) وَصْفٌ يَدُلُّ على الغزارةِ والعُنفِ في الانْسِكَابِ، وتمثيلٌ لكثرةِ الأَمطارِ وشدةِ انصبابِها[٢]. فالتَّراكِيبُ تُوحِي بِحَدَثٍ كَوْنِيٍّ هَائِلٍ، لا مَطَرٍ عَادِيٍّ. وَالتَّصْوِيرُ يَرْبُطُ بَيْنَ العُقُوبَةِ وَالكَوْنِ؛ لِيُشْعِرَ القارِئَ بِعَظَمَةِ العذابِ. وَقَدْ ذَكَرَ الرَّازِي أَنَّ فِيْ الآيَةِ قَوْلَيْنِ أَحَدُهُمَا: أَنَّهَا أَبْوَابٌ حَقِيْقِيَّةٌ، وَأَنَّ لِلسَّمَاءِ أَبْوَابٌ تُفْتَحُ وَتُغْلَقُ وَلَا اسْتِبْعَادَ فِيْهِ، وَالثَّانِي أَنَّهَا اسْتِعَارَةٌ[٣]. وَمَعَ ذلكَ فقد وَرَدَتِ الهيئةُ العَالَمِيَّةُ لِلإعجازِ العِلميّ فِي القرآنِ والسُّنةِ في مَقالٍ نُشِرَ على موقعِهَا عبرَ شبكةِ الانترنت بِعنوانِ: (لَمَحَاتٌ إِعْجَازِيَّةٌ عن أَبوابِ السَّمَاءِ وَظُلْمَةِ الفَضَاءِ)، مَا يُؤَكِّدُ وُجُوْدَ أَبوابٍ لِلسَّمَاءِ لا يُمْكِنُ العُرُوْجِ إِلَّا مِنْ خِلَالِهَا مُرْفِقَةً ذَلِكَ بِشَرْحٍ عِلْمِيٍّ مُفَصَّلٍ. فَالإعجازُ يَتَجَلَّى فِي الأُسلوبِ وفِي الحقيقةِ الَّتِي يَؤُولُ إِلَيْهَا[٤].

ثانياً: الهداية:

كل أُسلوبٍ بلاغي في القرآن يخدم غاية الهداية، سواءً كان سُؤَالاً أَو قَسَمَاً أَو تشبيهاً أو كنايةً أَو استعارةً أَو غيرَ ذلك. فَكلُّهَا تُؤَدي دوراً تربوياً عميقاً.

ثالِثًا: التصوير الذهني والمشاهد الحيَّة:

البلاغة القرآنية ترسم المعنى للمتلقي رسماً يُشاهَدُهُ لا يُتخيلهُ فقط، فمثلاً قولهُ تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ﴾(القمر:٢٠)، يرسم لك لوحةً للكفار بعد العذاب وكأَنَّهُم أُصُولِ النَّخْلِ وهي مقلوعة من منابتها ومَطرُوحة عَلَى الأَرضِ لِموتِها[٥]، فهو تصويرٌ ذهني لمشهد حسي حي كأَنَّهُ يتمثلُ أَمامَ ناظريك.

---

(١) مفاتيح الغيب، الرازي: ٢٩٥/٢٩.

(٢) تفسير أَبي السعود، أَبو السعود: ١٦٩/٨.

(٣) مفاتيح الغيب: ٢٩٥/٢٩.

(٤) أَبواب السماء، بين العلم والإعجاز، إِسلام أُون لاين، https://islamonline.net/

(٥) يُنْظَرُ: تفسير التحرير والتنوير، ابن عاشور: ١٩٤/٢٧.

ومثله جاءَ قولُهُ تعالى: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ﴾ (النمل:٨٨)، وهي صورة ذهنية كأَنَّها تُشاهد رأي عين؛ حتى إنَّ بعضَ المفسرين[١] ذهب إلى أَنَّ حركة الجبال حقيقةٌ، ولكِنَّها غيرُ محسوسة، وجمهورهُمْ على أَنَّها حركتها تكون يوم القيامة[٢].

المبحث الثَّاني: بلاغةُ الحدِيثِ النَّبَويِّ، خصائصها ووظائفها

المَطْلَبُ الأَوَّلُ: بلاغة النبي ﷺ بين الإلهام والفطرة:

لقد أُوتِيَ النبيُّ ﷺ جوامِعَ الكَلِمِ؛ كما قال ﷺ:«أُعْطَيْت مَفَاتِيح الْكَلم، وَنُصِرْتُ بِالرُّعْبِ». وَمِنْ جَوَامِعِ كَلِمِهِ قَوْلُهُ ﷺ: «الدين النصيحة». وَقَوْلُهُ: «احفظ الله يحفظك». وَقَوْلُهُ: «اتَّقِ اللهَ حَيْثُمَا كُنْتَ». وَقَوْلُهُ: «الحَلَالُ بَيِّنٌ، وَالحَرَامُ بَيِّنٌ». وَقَوْلُهُ: «دَعْ مَا يَرِيبُكَ إِلَىْ مَا لَا يَرِيبُكَ». وَقَوْلُهُ: «إِنَّ اللهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَىْ كُلِّ شَيْءٍ». وَقَوْلُهُ: «إِنَّ اللهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبَاً». وَقَوْلُهُ: «لَا ضَرَرَ وَلَا ضِرَارَ». وَغَيْرُهَا كَثِيْرٌ، وَكَثِيْرٌ جِدَّاً[٣].

فكلامُهُ ﷺ يجمعُ المعانيَ العظيمةَ في أَلفاظٍ قليلةٍ، ويُصِيبُ المقاصدَ بدقةٍ، ويُؤثرُ في القلوب بأُسلوبٍ لا يُمَلُّ، وبلاغةٍ لا تُكَلُّ، سَهْلُ اللَّفْظِ، قَرِيبُ الفَهْمِ، جَزِيلُ المَعْنَى، وكان هذا من خصائصِهِ النبويةِ الموروثة بالإلهامِ والتَّأْيِيدِ، فَضْلاً عن فطرته العربية الصافية.

ومع أَنَّ الحديثَ النبوي ليس وحياً بلفظهِ، كحالِ القرآنِ، إِلَّا أَنَّهُ وحيٌ بِالمَعنَى[٤]، يعصمهُ اللهُ مِن الزللِ، ويؤيده بالتوفيقِ؛ ولذلك جاءَت بلاغةُ النَّبِيِّ ﷺ فطريةً تلقائيةً، لا تكَلُّفَ فيها، وَلا صَنْعَةَ، عظيمةٌ في الأَثرِ، قويةٌ في الحُجَّةِ، بليغةٌ في الغايةِ.

المَطْلَبُ الثَّانِي: السِّماتُ البلاغية في الحديث النبوي الشريف:

لقد بلغ البيانُ النبوي ذروة البيان البشري؛ لِما امتاز به من خصائص كثيرة تميزه عن بيان البشر وبلاغتهم، وتجعله في ذروة الفصاحة والبلاغة، ولا غرو في هذا فهو ﷺ أَفصح العرب قاطبة[٥]، وكيف لا..؟ وبلاغتُهُ "هِيَ

---

(١) يُنْظَرُ: تفسير الشعراوي: ٩٥٢٧/١٥.

(٢) وذلكَ لأَمرين، الأَول: الآية معطوفة على قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ﴾، فدلت هذه القرينة القرآنية الواضحة على أَنَّ مَرَّ الجبالِ كائنٌ يوم يُنفخ في الصُّورِ لَا الآن. وأَمَّا الثَّاني: وهو كون هذا المعنى هو الغالب في القرآن؛ لأَنَّ جميعَ الآياتِ التي فيها حركةُ الجبال كلها كائنةٌ في يوم القيامة. يَنْظَرُ: تفسير أَضواء البيان: ٤٩٠/٦.

(٣) الأَساليب النبوية في التعليم، علي سعد محمود: ٣٥.

(٤) يُنْظَرُ: مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان: ٢٢.

(٥) من جماليات الاستفهام في البيان النبوي، د. عبد العزيز بن صالح العمار: ٥.

البلاغةُ الإنسانية التي سجدت الأَفكار لآيتها، وحسرت العقول دون غايتها، لم تُصنَع، وهي من الإحكام كأَنَّها مصنوعة، ولم يُتكلف لها وهي على السهولة بعيدةَ ممنوعة. فَأَلفاظُ النُّبُوَّةِ يعمرها قلبٌ مُتَّصِلَ بجلالِ خالقهِ، ويصقِلها لسانٌ نزل عليه القرآن بحقائقه، فهي إن لم تكن من الوحي ولكنها جاءت من سبيله وإن لم يكن لها منه دليل فقد كانت هي من دليله، مُحكمَة الفصول، حتى ليس فيها عروة مفصولة، محذوفة الفضول، حتى ليس فيها كلمة مفصولة. وكأَنَّمَا هي في اختصارها وإفادتها نبضُ قلب يتكلم، وإنما هي في إجادتها مظهرَ من خواطره ﷺ"[١]

١. **الإِيْجَازُ المُعْجِزُ:**

مِن أَبرزِ سِماتِ حديثه ﷺ قِصرُ العِبارة، وعُمق المعنى؛ كقولهِ: «الدينُ النَّصِيحةُ» وَقولِهِ: «الرِّفقُ لا يكونُ في شيءٍ إِلَّا زانَهُ» وَقولِهِ: «مَن لا يَرحَمُ لا يُرْحَمُ»، وَأَمْثَالُ ذَلِكَ. فَكُلُّ كلمةٍ تحمِلُ حُكمَاً، وتَوَجُّهَاً، ومغزىً بلاغِياً وتربوياً واضِحَاً.

٢. **التمثيلُ والتصويرُ الحِسّيُّ:**

كان النبيُّ ﷺ يُقرِبُ المعاني بتشبيهاتٍ مألوفة، مِثل قولِهِ: «أَنَا وكافِلُ اليتيمِ في الجَنَّةِ كَهَاتَيْنِ» وقد يُشيرُ بيدهِ، فيمزجُ بينَ التَّصويرِ اللَّفْظِي وَالحِسّيّ.

٣. **التِّكرارُ التربوي:**

اسْتَخْدَمَ النَّبِيُّ ﷺ التِّكْرَارَ أُسْلُوبَاً فِي التَّعْلِيمِ؛ كَمَا فِي قَولِهِ ﷺ :« «ألا أُنَبِّئُكُمْ بأكبَرِ الكَبائرِ؟ - ثلاثَاً- : الإِشْرَاكُ بِاللهِ، وَعُقُوقُ الوَالِدَيْنِ، أَلَا وَشَهَادَةُ الزُّوْرِ، وَقَوْلُ الزُّوْرِ». وَكَانَ مُتَّكِئَاً فَجَلَسَ، فَمَا زَالَ يُكَرِّرُهَا حَتَّى قُلْنَا: لَيْتَهُ سَكَتَ. مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ.

٤. **التَّنَاسُبُ، وَالازْدِوَاجُ التَّنْغِيمِيُّ:**

وهُوَ أَنْ يأتيَ بِأَلفاظٍ وتراكيبٍ مُتناسِبَةٍ يَخلُقُ الإِزدِوَاجُ فيهَا نَغَمَاتٍ عَذِبَةً سَهْلَةً؛ وَمِنْ ذَلِكَ قَولُهُ ﷺ: «اللَّهُمَّ اغْسِلْنِي مِنْ خَطَايَايَ بِالْمَاءِ وَالثَّلْجِ وَالْبَرَدِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. وَقَولُهُ ﷺ:«اللهُمَّ آتِ نَفْسِي تَقْوَاهَا، وَزَكِّهَا أَنْتَ خَيْرُ مَنْ زَكَّاهَا، أَنْتَ وَلِيُّهَا وَمَوْلَاهَا» مُسْلِمٌ وَقَدْ جَاءَ فِي أُسْلُوبٍ مُزْدَوِجٍ مُتَنَاغِمٍ يَزِيْدُ الأَثَرَ فِي النَّفْسِ دُعَاءً وَتَوْكِيْدَاً وَتَعْلِيْمَاً.

المَطْلَبُ الثَّالِثُ: الوظيفة البلاغية للحديث (التعليم، التوجيه، التأثير)

أَوَّلاً: التعليم والإفهام:

(١) إعجازُ القرآنِ والبلاغةُ النَّبَوِيَّةُ: ١٩٣.

كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يُعلِّمُ أَصْحَابَهُ بِالبَيَانِ المُفصَّلِ، وَالخِطَابِ المُيَسَّرِ، فيُفَصِّلُ وَيُكَرِّرُ، ويضربُ الأَمثالَ؛ "لِمَا يجتمعُ فيها مِن إيجَازِ اللَّفظِ وَحُسْنِ التَّشبِيهِ، وَالكِنَايَةِ"[١] وَكَانَ يَتَدَرَّجُ فِي المَفَاهِيمِ، ويَهتمُّ بِالكِيفِ لَا بِالكِمِّ[٢]، حَتَّى تُفهَمَ كَلِمَاتُهُ وَتُحْفَظَ؛ كقولِهِ ﷺ لابْنِ عَبَّاسٍ: «يَا غُلَامُ، احْفَظِ اللهَ يَحْفَظْك، احْفَظِ اللهَ تَجِدْهُ تُجَاهَك، وَإِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ اللهَ، وَإِذَا اسْتَعَنْت فَاسْتَعِنْ بِاللهِ». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

ثانياً: التوجيه والتقويم:

تُسْتَعْمَلُ بَلَاغَةُ الحَدِيثِ فِي إِصْلَاحِ الأَخْلَاقِ، وَتَزْكِيَةِ النُّفُوسِ، وَتَعدِيلِ السُّلُوكِ، كَمَا فِي حَدِيثِ النَّبِيِّ ﷺ: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. فَإِنَّ فِيهِ ثَلَاثَ جُمَلٍ، كُلُّ وَاحِدَةٍ تُرْسِيْ مَبْدَأً أَخْلَاقِيَّاً نَبِيْلَاً بِبَلِيْغِ العِبَارَةِ، وَجَمِيلِ الإِشَارَةِ.

ثَالِثَاً: التَّأْثِيرُ النَّفْسِيُّ:

أُسْلُوبُ النَّبِيِّ ﷺ يَتَغَلْغَلُ إِلَى القَلْبِ دُوْنَ حَاجَةٍ إِلَىْ زَخْرَفَةٍ، بَلْ بِتِلْقَائِيَّةٍ مُحْكَمَةٍ فَيُؤَثِّرُ فِي النَّفْسِ وَالعَقْلِ وَالسُّلُوْكِ مَعَاً؛ فَقَوْلُهُ: «إِنَّمَا الأَعْمَالُ بِالنِّيَاتِ» مُتَّفَقٌ عَلَيْهِ. فَهَذِهِ جُمْلَةٌ وَاحِدَةٌ مِنْ حَدِيثٍ، وَلَكِنَّهَا حَوَتْ بَابَاً كَامِلَاً فِي الفِقْهِ، وَقَاعِدَةً مِنْ قَوَاعِدِ الشَّرِيْعَةِ.

المَبْحَثُ الثَّالِثُ: الفُرُوْقُ البَلَاغِيَّةُ بَيْنَ القُرْآنِ الكَرِيمِ وَالحَدِيْثِ النَّبَوِيِّ الشَّرِيْفِ

المَطْلَبُ الأَوَّلُ: الفَرْقُ فِي المَصْدَرِوَالوَضْعِ وَالأُسْلُوْبِ العَامِ

إِنَّ أَوَّلَ مَا يُمَيِّزُ القُرْآنِ الكَرِيمِ عَنِ الحَدِيثِ النَّبَوِيِّ مِنْ جِهَةِ البَلَاغَةِ، هُوَ اخْتِلَافِ المَصْدَرِ:

- **فَالقُرْآنُ الكَرِيمُ:** وَحْيٌ مُنَزَّلٌ مِنَ اللهِ بِلَفْظِهِ وَمَعْنَاهُ، مَحْفُوْظٌ مِنَ التَّحْرِيْفِ وَالتَّغْيِيرِ، مُعْجِزٌ فِي أُسْلُوبِهِ وَتَركِيبِهِ، لَا يُنْسَبُ لِبَشَرٍ، وَلَا يَجُوْزُ رِوَايَتُهُ بِالْمَعْنَى[٣].

(١) الصحيح من الأَمثال النبوية، أَبو أُويس الكردي: ١٣.

(٢) من مشكاة النبوة، منصور الأَحمد، مقال، مجلة البيان، تشرين الأَول، ١٩٨٦م، السنة الأُولى: ٢/٢٣.

(٣) يُنْظَرُ: دراسات في علوم القرآن الكريم، فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي: ٢٣.

- **وَأَمَّا الحَدِيثُ النَّبَوِيُّ الشَّرِيفُ:** وَمِنْهُ الحَدِيثُ القُدْسِيُّ[١]؛ فَهُوَ وَحْيٌ بِالمَعْنَى فَقَطْ، أَمَّا اللَّفْظُ فَبِلِسَانِ النَّبِيِّ ﷺ، وَتَجُوْزُ رِوَايَتُهُ بِالمَعْنَى مَعَ مُرَاعَاةِ الضَّبْطِ[٢]، وَتَفَاوُتتْ أَلْفَاظُهُ بِاخْتِلَافِ الرِّوَايَاتِ وَالسِّيَاقَاتِ. وهذا الفَارِقُ الجَوْهَرِيُّ يجعلُ بلاغةَ القُرآنِ تَتَّسِمُ بِالسُّمُوِّ الْمُطلقُ في الأَلفاظ والمعاني، والإعجازُ في النَّظْمِ، والنَّقاءُ الكَامِلُ مِنَ التَّفَاوتِ.

بَيْنَمَا بلاغةُ الحديثِ فَتَتَّسِمُ بِمُرُونَةُ الأُسْلُوْبِ؛ لِكَوْنِهِ فِي الغَالِبِ خِطَاباً لِلْمُؤمِنِينَ؛ لِقِصرِ عِبَارَاتِهِ وَسُهُولَتِهَا، وَوُضُوْحُ المَقَاصِدِ وَسُهُولةُ التَّلَقِ؛ لِكَوْنِهِ بَيَانٌ لِلقُرآنِ.

وَأَمَّا مِنْ جِهَةِ الأُسْلُوْبِ فَإِنَّ البَلاغَةَ القُرآنِيَّةَ تَتَمَيَّزُ بِالسُّمُوِّ وَالهَيْبَةِ وَالْجَلَالِ، وَبِإِيْقَاعٍ صَوْتِيٍّ وَنَظْمٍ خَاصٍّ لَا يُضَاهَى. وَأَمَّا بَلَاغَةَ الحَدِيْثِ فَهِيَ أَقْرَبُ إِلَىْ التَّخَاطُبِ اليَوْمِيِّ، فِيْهَا التَّلَطُّفُ وَالشَّرْحُ وَالخِطَابُ المُبَاشَرُ.

وَأَمَّا مِنْ جِهَةِ المُخَاطَبِ فِي البَلَاغَةِ القُرآنِيَّةِ فَهُمُ الخَلْقُ كَافَّةً، فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، وَعَلَيْهِ فَمَقَامُ البَلَاغَةِ فِيهَا عَامٌّ يَسْتَدْعِي خِطَابَاً تَشْرِيعِيَّاً وَتَحَدِّيَاً عَامَّاً وإِعْجَازَاً مُطْلَقَاً، وَأَمَّا المُخَاطَبُ فِي الحَدِيْثِ فَهُمُ الصَّحَابَةُ ابْتِدَاءً ثُمَّ الأُمَّةُ مِنْ بَعْدِهِمْ تَبَعَاً، وَعَلَيْهِ فَإِنَّ مَقَامَ البَلَاغَةِ فِيْهَا خَاصَّاً، مِمَّا يَسْتَدْعِي أَنْ يَكُوْنَ تَوْجِيْهِيَّاً تَرْبَوِيَّاً وَاقِعِيَّاً بِحَسَبِ الأَحْوَالِ.

المَطْلَبُ الثَّانِي: الفرق في التركيب البلاغي والتصوير الفني:

١. **التركيب:**

- القُرآنُ الكَرِيمُ يَتَمَيَّزُ بِجَزَالَةِ التَّرْكِيبِ، وَتَوَازُنِ الفَوَاصِلِ، وَتَقدِيمٍ وَتَأخِيرٍ دَقِيقٍ يَخْدُمُ المَعْنَى؛ وَمِنْهُ مَا قَدْ جَاءَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ (الذاريات:٢٢). فَالتَّرْكِيْبُ جَاءَ فَخْمَاً، وَالإِيقَاعُ جَاءَ مُتَّزِنَاً؛ لِبَيَانِ غَرَضٍ بَلَاغِيٍّ مُهِمٍّ، وَهُوَ التَّخْصِيْصُ.
- وَالحَدِيْثُ النَّبَوِيُّ يَمِيْلُ إِلَىْ التَّرْكِيْبِ السَّهْلِ، وَالوَاضِحِ، مَعَ الحِفَاظِ عَلَى البَلَاغَةِ، كَمَا فِي قَوْلِهِ ﷺ: «مِنْ حُسْنِ إِسْلَامِ الْمَرْءِ تَرْكُهُ مَا لَا يَعْنِيهِ» رَوَاهُ ابنُ مَاجَةَ، فَعِبَارَتُهُ سَهْلَةٌ وَجِيزَةٌ، لَكِنَّهَا قَوِيَّةٌ فِي تَأْثِيْرِهَا.

وَلِذَا كَانَتِ البَلاغَةُ القُرآنِيَّةُ تَتَضَمَّنُ تَنَوُّعَاً مِنَ الصُّوَرِ البَيَانِيَّةِ وَالبَدِيْعِيَّةِ بِتَوَازُنٍ عَجِيْبٍ وَبِلا تَكَلُّفٍ، وَأَمَّا بَلَاغَةَ الحَدِيْثِ فَأَقَلُّ كَثَافَةٍ فِي البَدِيعِ، وَيَغْلُبُ عَلَيْهَا التَّصْوِيرُ التَّرْبَوِيُّ وَالحِكْمَةُ العَمَلِيَّةُ دُوْنَ اسْتِطْرَادٍ بَيَانِيٍّ وَبَدِيعِيٍّ كَبِيرٍ.

المَطْلَبُ الثَّالِثُ: الفَرْقُ فِي الوَظِيْفَةِ البَلَاغِيَّةِ وَتَأْثِيْرِهَا فِي الْمُتَلَقِّي

وَأَمَّا مِنْ جِهَةِ وَظِيْفَةِ البَلَاغَةِ، فَوَظِيْفَةُ البَلَاغَةِ القُرآنِيَّةِ وَظِيْفَةٌ تَأْسِيْسِيَّةٌ؛ تَبْنِي العَقِيْدَةَ، وَالتَّشْرِيْعَاتِ، وَالعِبَادَةِ، وَتَهْدِي لِلَّتِيْ هِيَ أَقْوَمُ. وَأَمَّا الوَظِيْفَةُ فِي بَلَاغَةِ الحَدِيْثِ فَتَوْضِيْحِيَّةٌ؛ تَشْرَحُ القُرْآنَ وَتُبَيِّنَهُ، وَتُفَصِّلُ مُجْمَلَهُ، وَتُطَبِّقُ أَحْكَامَهُ.

---

(١) يُنْظَرُ: مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، عدنان محمد زرزور: ٤٨.

(٢) يُنْظَرُ: بُحوثٌ في تاريخ السُّنَّة المُشَرَّفة، أكرم بن ضياء العمري: ٢٢٢.

وَأَمَّا مِنْ جِهَةِ التَّأْثِيرِ النَّفْسِيّ: فَالبَلَاغَةُ القُرآنِيَّةِ تُحْدِثُ رَهْبَةً وَهَيْبَةً وَتَعْظِيْمَاً وَتَأْثِيْرَاً وِجْدَانِيَّاً قَوِيَّاً فِيْ نُفُوْسِهِمْ، وَمِنْ خَصَائِصِهَا: هَزّ النُّفُوْسِ وَتَحْرِيْكِ العُقُوْلِ، وَتَرْسِيْخُ العَقِيدَةِ، وَبِنَاءُ التَّصَوُّرِ الشَّامِلِ، وتَقْرِيعٌ، أَو تَأنِيْسٌ، أَوْ إِبْهَارٌ، أَوْ تَخْوِيفٌ، وَكُلُّ ذَلِكَ بِحَسَبِ المَقَامِ؛ وَمِن أَمْثِلَتِهَا فِي القُرآنِ الكَرِيْمِ قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الرَّجْعِ*وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ* إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ*وَمَا هُوَ بِالْهَزْلِ﴾ (الطارق:١١-١٤).

وَأَمَّا بَلَاغَةُ الحَدِيْثِ فَتَرْبَوِيَّةٌ تَوجِيْهِيَّةٌ؛ فَتُحْدِثُ قُرْبَاً وأُنْسَاً وَمُوَدَّةً وَتَفَهُّمَاً وَتَفَاعُلَاً مُبَاشِرَاً مَعَ المُتَلَقِي. وهَدَفُهَا وَخِصِّيْصَتُهَا: التَّعْلِيمُ العَمَلِيُّ المُبَاشِرُ، وإِصْلَاحُ السُّلُوك، تَسْهِيْلُ الفَهْمِ وَالتَّذَكُّرِ؛ وَمِن أَمْثِلَتِهَا قَوْلُهُ ﷺ: «مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ، لَا يَشْكُرُ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ. فَقَدْ جَمَعَ بَيْنَ التَّعْلِيمِ وَالإِصْلَاحِ وَتَسْهِيْلِ الفَهْمِ وَالتَّذَكُّرِ بِلُغَةٍ سَهْلَةٍ وَبَلَاغَةٍ عَالِيَةٍ.

وَذلك أَنَّ الغَرَضَ البَلَاغِيَّ فِيْ البَلَاغَةِ القُرآنِيَّةِ يَتَنَوَّعُ بَيْنَ الإِخْبَارِ وَالإِنْذَارِ، وَالوَعْدِ وَالوَعِيْدِ، وَالوَعْظِ، وَالتَّشْرِيْعِ، وَالقَصَصِ، إِلَخ، وَأَمَّا فِيْ الحَدِيْثِ فَيَغْلُبُ عَلَيْهِ غَرَضُ التَّعْلِيْمِ وَالتَّوْجِيْهِ، وَالنُّصْحِ وَالتَّأْدِيبِ.

- فالقُرْآنُ يُخَاطِبُ جَمِيعَ طَبَقَاتِ العَقْلِ وَالرُّوْحِ، وَهُوَ أَعْظَمُ وَقْعَاً، وَأَكْثَرُ رَدْعَاً فِي النَّفْسِ، وَلِذَلِكَ فَهُوَ يَتْرُكُ أَثَرَاً وُجُوْدِيَّاً طَوِيلَ المَدَى.
- وَالحَدِيْثُ يُخَاطِبُ وُجْدَانِ المُسْلِمِ فِي وَاقِعِهِ، وَهُوَ أَخَفُّ وَقْعَاً، وَأَقَلُّ رَدْعَاً فِيْ النَّفْسِ، وَيُؤَثِّرُ عَلَىْ مُسْتَوى الفَهْمِ وَالتَّصَرُّفِ.

المَبْحَثُ الرَّابِعُ: نَمَاذِجٌ تَطْبِيْقِيَّةٌ مُقَارَنَةٌ: وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ تَحْلِيْلٍ لِنَمَاذِجَ بَلَاغِيَّةٍ لِنَصُوصٍ مُشْتَرِكَةٌ فِي المَوْضُوْعِ مِنَ القُرآنِ الكَرِيمِ وَمِنَ الحَدِيْثِ النَّبَوِيّ الشَّرِيْفِ.

المَطْلَبُ الأَوَّلُ: نَمُوْذَجٍ بَلَاغِيّ فِي مَوْضُوْعِ التَّقْوَى:

أَوَّلَاً: النَّصُّ القُرآنِيُّ: قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا*وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ (الطلاق:٢-٣).

هَذِهِ الآيةُ أَعْظَمُ قَوَانِينِ الحَيَاةِ؛ فِيْهَا اليُسْرُ بَعْدَ العُسْرِ، وَالفَرَجُ بَعْدَ الشِّدَّةِ، وَهِيَ المَخْرَجُ الآمِنُ فِي الحَوَادِثِ وَالأَزَمَاتِ، فِيْهَا قَانُوْنُ المُفَاجَآتِ السَّارَةِ فِي المَالِ وَالرِّزْقِ وَأَسْبَابِ الفَرَحِ وَالسَّعَادَةِ بِدُوْنِ تَوَقُّعَاتٍ[1]؛ وَلِذَا قَالَ أَبُو ذَرٍّ: كَانَ نَبِيُّ اللَّهِ ﷺ، يَتْلُو هَذِهِ الآيَةَ: ثُمَّ يَقُولُ: يَا أَبَا ذَرٍّ، لَوْ أَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ أَخَذُوا بِهَا لَكَفَتْهُمْ[2]. وَإِنَّ هَذِهِ التَّقْوَى بِكَافَّةِ مُمَارَسَاتِهَا الدِّيْنِيَّةِ المُتَعَدِّدَةِ لَيْسَتْ هِيَ تَعَبُّدَاً مَحْضَاً لَا مَعْقُوْلِيَّةَ فِيْهِ كَمَا قَدْ يُظَنُّ، فَإِنَّ مِنْ شَأْنِ هَذِهِ المُمَارَسَاتِ أَنْ تُزَوِّدَ مُتَعَاطِيْهَا بِفُهُوْمٍ وَأَذْوَاقٍ تَخْتَلِفُ دِقَّةً وَعُمْقَاً بِاخْتِلَافِ مَرَاتِبِهِمْ فِيْهَا، بِحَيْثُ إِذَا عُرِضَ عَلَيْهِمُ القَوْلُ الدِّيْنِيّ الوَاحِدِ، انْفَتَحَتْ لَهُمْ فِيْهِ مُسْتَوَيَاتٌ دَلَالِيَّةٌ، وَآفَاقٌ تَأْوِيْلِيَّةٌ، وَرَقَائِقُ مَعْنَوِيَّةٌ عَلَىْ قَدْرِ الرُّتَبِ التَّعَبُّدِيَّةِ الَّتِيْ يَنْزِلُوْنَهَا

(١) يُنظرُ: المقدمة في فقه العصر، د. فضل بن عبد الله مراد، ناشر: ١٦٥/٢.

(٢) الفرج بعد الشدة، المحسن بن علي بن محمد بن أبي الفهم داود التنوخي: ٨٦/١.

حَتَّى كَأَنَّ هَذَا القَوْلَ أَقْوَالٌ كَثِيْرَةٌ؛ وَهَكَذَا[١]، وَهَذَا مِصْدَاقُ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَاتَّقُواْ اللّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللّهُ وَاللّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (البقرة:٢٨٢).

التَّحْلِيلُ البَلَاغِيُّ:

- الأُسْلُوْبُ الشَّرْطِيُّ: فِي قولِهِ: (مَنْ يَتَّقِ اللهَ) جُمْلَةٌ شَرْطِيَّةٌ؛ تُفِيْدُ العُمُوْمَ وَالاسْتِمْرَارَ والتَّجَدُّدَ.
- التَّقْدِيمُ وَالتَّأْخِيْرُ: وَقَدَّمَ (يَتَّقِ اللهَ)؛ لِإِفَادَةِ الحَصْرِ وَالاهْتِمَامِ، وَهُوَ مِن دَلائِلِ البَيَانِ العَالِي.
- الإِيْجَازُ بِالإِطْنَابِ المَعْنَوِيّ: فِيْ لَفْظَةِ (مَخْرَجاً) ثُمَّ (يَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ)؛ وَفِيْهِمَا تَصْوِيرَانِ مَجَازِيَّانِ لِلْفَرَجِ بَعْدَ الشِّدَّةِ، وَالرِّزْقِ بَعْدَ الفَاقَةِ، وَاليُسْرِ بَعْدَ العُسْرِ.
- المُوْسِيْقَى الدَّاخِلِيَّةُ: وَهِيَ فِي تَنَاغُمِ فَوَاصِلِ الآيَتَيْنِ وَنِهَايَةِ الكَلِمَاتِ فِي حَرَكَاتِهَاً وَسُكُوْنِهَا؛ (مَخْرَجاً – يَحْتَسِب)، مِمَّا يَزِيْدَانِ مِنْ وَقْعِ الآيَةِ عَلَىْ السَّمْعِ وَالوِجْدَانِ.

ثَانِياً: النَّصُّ الحَدِيْثِيُّ:

قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اتَّقِ اللَّهَ حَيْثُمَا كُنْتَ، وَأَتْبِعِ السَّيِّئَةَ الحَسَنَةَ تَمْحُهَا، وَخَالِقِ النَّاسَ بِخُلُقٍ حَسَنٍ» رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

هَذِه وَصِيَّةٌ عَظِيمَةٌ جَامِعَةٌ لِحُقُوْقِ اللهِ تَعَالَى وَحُقُوْقِ عِبَادِهِ[٢]؛ فَهُوَ يُحَدِّدُ عِلَاقَةَ المُسْلِمِ بِرَبِّهِ (تَقْوَى اللهِ)، وَعِلَاقَةَ المُسْلِمِ بِنَفْسِهِ (حَسَنَاتٌ يَمْحُو بِهَا السَّيِّئَاتِ)، وَعِلَاقَةَ المُسْلِمِ بِغَيْرِهِ (التَّخَلُّقُ بِالخُلُقِ الحَسَنِ).

التَّحْلِيْلُ البَلَاغِيُّ:

- الأُسْلُوْبُ التَّقْرِيْرِيُّ المُبَاشِرُ: فَهَهُنَا جُمَلٌ ثَلَاثٌ، تُؤَدِّي كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهَا مَعْنَىً أَخْلَاقِيّاً وَاضِحاً.
- الازْدِوَاجُ اللَّفْظِيُّ: ((حَيْثُمَا كُنْتَ – السَّيِّئَةُ الحَسَنَةُ – خُلُقٍ حَسَنٍ))، تِكْرَارٌ صَوْتِيٌّ وَمَعْنَوِيٌّ.
- الإِيْجَازُ مَعَ تَمَامِ المَعْنَى: فَهَذَا الحَدِيْثُ يَشْتَمِلُ عَلَىْ مَنْهَجِ حَيَاةٍ مُتَكَامِلٍ بِثَلَاثِ جُمَلٍ فَقَطْ.
- التَّرْكِيبُ السَّهْلُ: وَهُوَ بِهَذَا التَّرْكِيبِ السَّهْلِ مُلَائِمٌ لِجَمِيْعِ الفِئَاتِ، وَيَصْلُحُ لِلْحِفْظِ وَالتَّطْبِيْقِ.

المَطْلَبُ الثَّانِي: نَمُوْذَجٌ بَلَاغِيٌّ فِي حَالِ الدُّنْيَا:

أَوَّلاً: النَّصُّ القُرآنِيُّ: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾(الحديد:٢٠).

(١) يُنْظَرُ: رُوْحُ الدِّيْنِ مِنْ ضِيْقِ العِلْمَانِيَّةِ إِلَىْ سِعَةِ الانْتِمَائِيَّةِ، طه عَبْدُ الرَّحْمَنِ: ٧٦.

(٢) تطريز رياض الصالحين، فيصل بن عبد العزيز المبارك:٦٠.

النَّاسِ وَمُنْذُ قَدِيمِ الأَزَلِ يَنْخَدِعُونَ بِالدُّنْيَا، وَيُفْتَتَنُونَ بِبَهْجَتِهَا، وَيَرْكَنُونَ إِلَيْهَا؛ فَيَطُوْلُ أَمَلُهُمْ فِيْهَا، وَيَتَصَارَعُوْنَ مِنْ أَجْلِهَا، مُتَنَاسِيْنَ أَنَّهُمْ رَاحِلُونَ عَنْهَا، وَأَنَّهَا هِيَ أَيْضاً إِلَىْ زَوَالٍ(١). فَمَثَلُهَا "كَمَثَلِ الحَيَّةِ لَيِّنٌ مَسُّهَا وَالسُّمُّ النَّاقِعُ فِي جَوْفِهَا، يَهْوِي إِلَيْهَا الغِرُّ الجَاهِلُ، وَيَحْذَرُهَا ذُو اللُّبِّ العَاقِلُ"(٢).

التَّحْلِيْلُ البَلَاغِيُّ:

- الافْتِتَاحُ بِالأَمْرِ: وَهُوَ قَوْلُهُ: (اعْلَمُوْا)؛ لِتَنْبِيْهِ المُخَاطِبِينَ إِلَى أَمْرٍ عَظِيْمٍ، وَمَثَلٍ خَطِيرٍ.
- اسْتِخْدَامُ أَدَوَاتِ القَصْرِ: (إِنَّمَا) وهِيَ تُفِيدُ القَصْرَ والحَصْرَ، وَهُوَ قَصْرٌ حَقِيْقِيٌّ، قَصْرُ مَوْصُوْفٍ عَلَىْ صِفَةٍ، وَالغَرَضُ مِنْهُ التَّحْقِيْرُ وَالتَّقْلِيْلُ مِنْ شَأْنِ الدُّنْيَا، وَالتَّهْيِئَةُ لِمَا بَعْدَهَا مِنَ التَّذْكِيْرِ بِالمَوْتِ وَالبَعْثِ وَالجَزَاءِ المُصَوَّرِ بِالمَثَلِ.
- تَدَرُّجٌ تَصْوِيرِيٌّ: [لَعِبٌ ← لَهْوٌ ← زِيْنَةٌ ← تَفَاخُرٌ ← تَكَاثُرٌ]، يَرْسُمُ دَوْرَةَ الحَيَاةِ الظَّاهِرَةِ:[الوِلَادَةُ ← الصِّبَا وَالمُرَاهَقَةُ ← الشَّبَابُ ← الرُّجُوْلَةُ وَالكُهُوْلَةُ ← الشَّيْخُوْخَةُ].
- الخِتَامُ بِالمَثَلِ:(كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الكُفَّارَ نَبَاتُهُ، ثُمَّ يَهِيجُ، فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا، ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا).
- تَدَرُّجٌ تَصْوِيرِيٌّ: [غَيثٌ ← نَبَاتُهُ ← يَهِيجُ ← مُصْفَرًّا ← حُطَامًا]، يَرْسُمُ دَوْرَةَ الحَيَاةِ الحَقِيْقِيَّةِ: إِغْرَاءٌ عَامٌ ← نُمُوٌّ مُتَعَدِّدٌ ← بِدَايَةُ الضُّعْفِ ← ذُبُوْلٌ عَامٌ ← الفَنَاءُ وَالمَوْتُ. فَقَرَنَ الصُّوْرَةَ الذِّهْنِيَّةَ بِالمَشْهَدِ الطَّبِيْعِيِّ لِلْهِدَايَةِ فِي التَّشْبِيْهِ؛ فَإِنَّهُ تَعَالَى بَيَّنَ أَنَّهُ كَمَا لَمْ يَحْصُلْ لِذَلِكَ الزَّرْعِ عَاقِبَةٌ تُحْمَدُ، فَكَذَلِكَ المُغْتَرُّ بِالدُّنْيَا المُحِبُّ لَهَا لَا تَحْصُلُ لَهُ عَاقِبَةٌ تُحْمَدُ(٣).

ثَانِيَاً: النَّصُّ الحَدِيْثِيُّ: قالَ النَّبِيُّ ﷺ: «مَا لِي وَلِلدُّنْيَا..؟! مَا أَنَا فِي الدُّنْيَا إِلَّا كَرَاكِبٍ اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ، ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا». رَوَاهُ التِّرْمِذِيُّ.

التَّحْلِيْلُ البَلَاغِيُّ:

- اسْتِفْهَامٌ إِنْكَارِي: (مَا لِي وَلِلدُّنْيَا..؟) يُفِيْدُ الزُّهْدَ وَالإِنْقِطَاعَ.
- تَشْبِيْهٌ تَمْثِيْلِيٌّ بَدِيْعٌ: وَهُوَ تَشْبِيْهُ حَالِهِ ﷺ بِالْمُسَافِرِ الَّذِيْ اسْتَظَلَّ قَلِيْلاً، ثُمَّ تَرَكَ المَكَانَ، وَهُوَ كِنَايَةٌ عَنِ الفَنَاءِ وَسُرْعَةِ الزَّوَالِ.
- إِيْجَازٌ مَعَ دِقَّةٍ فِي التَّصْوِيرِ؛ فَلَا يَحْتَمِلُ تَأْوِيْلاً آخَرَ. وَصُوْرَتُهُ كَالآتِي:
- حَالُ الدُّنْيَا ← اسْتِرَاحَةٌ عَابِرَةٌ، لَا إِقَامَةٌ دَائِمَةٌ.
- حَالُ صَاحِبِهَا ← رَاكِبٌ ← مُسَافِرٌ ← رَمْزٌ إِلَىْ الإِنْسَانِ فِي رِحْلَةِ الحَيَاةِ.
- فَائِدَةُ الدُّنْيَا ← اسْتَظَلَّ تَحْتَ شَجَرَةٍ ← اسْتِرَاحَةٌ قَصِيْرَةٌ لِلانْتِفَاعِ، لَا لِلْبَقَاءِ.
- نِهَايَةُ الإِنْسَانِ ← ثُمَّ رَاحَ وَتَرَكَهَا ← غَادَرَ الرَّاكِبُ هَذِهِ الدُّنْيَا إِلَىْ نِهَايَتِهِ وَهِيَ (المَوْتِ). فَنَسْأَلُ اللهَ تَقَدَّسَ اسْمُهُ وَتَعَالَى جَدَّهُ حُسْنَ الخَاتِمَةِ وَحُسْنَ القُدُوْمِ عَلَيْهِ وَالوُفُوْدِ إِلَيْهِ.

---

(١) نظرات بلاغية في آيات قرآنية، د. عادل أحمد صابر الرويني: ٩٢.

(٢) نهج البلاغة، أمير المؤمنين علي ابن أبي طالب، جمع الشريف الرضي: ٧٠٦.

(٣) هدايات الأمثال القرآنية، د. فخر الدين بن الزبير المحسي: ١٠٣.

جَدْوَلٌ تَوْضِيْحِيٌّ يُبَيِّنُ بَعْضَ أُصُوْلِ الفُرُوْقِ بَيْنَ بَلَاغَةِ التَّنْزِيْلِ وَبَلَاغَةِ التَّبْلِيْغِ

الوَجْهُ البَلَاغِي	النَّصُّ القُرْآنِي	النَّصُّ النَّبَوِي
التَّرْكِيْبُ	فَخْمٌ، مُحْكَمٌ، مُوْغِلٌ فِيْ التَّصْوِيْرِ	بَسِيطٌ، وَاضِحٌ، مُبَاشِرٌ
الأُسْلُوْبُ	شَرْطِيٌّ تَصْوِيرِيٌّ	وَصْفِيٌّ تَوْجِيهِيٌّ تَعْلِيْمِيٌّ
التَّأْثِيْرُ	يَمِيلُ إِلَى إِبْهَارِ النَّفْسِ وَاسْتِحْضَارِ قُدْرَةِ اللهِ تَعَالَى وَخَلْقِ الرَّهْبَةِ وَالرَّغْبَةِ	يَمِيلُ إِلَى تَعْلِيْمِ النَّفْسِ وَتَهْذِيبِ السُّلُوْكِ، وَتَحْصِيْلُ الأُنْسِ وَالأُلْفَةِ
الإِيْقَاعُ	وَاضِحُ الفَوَاصِلِ مُتَقَارِبُ النِّهَايَاتِ	نَغْمَةٌ خَفِيْفَةٌ تَعْتَمِدُ عَلَىْ التِّكْرَارِ

الخاتمة

مِنْ خِلَالِ هَذِهِ الرِّحْلَةِ البَلَاغِيَّةِ بَيْنَ بَلَاغَةِ القُرآنِ الكَرِيمِ وَبَلَاغَةِ الحَدِيْثِ الشَّرِيْفِ، يُمْكِنُنَا اسْتِخْلَاصُ بَعْضُ النَّتَائِجِ؛ وَمِنْهَا:

- أَنَّ القُرآنَ كَلَامُ اللهِ لَفْظًا ومَعْنًى، وأَما الحَدِيثُ فَهُوَ كَلَامُ النَّبِيِّ ﷺ، لَفْظُهُ مِنْهُ وَأَمَّا المَعْنَى فَمِنَ اللهِ تَعَالَى.
- القُرآنَ أُسْلُوْبٌ إِلهِيٌّ مُعْجِزٌ فِي التَّعْبِيرِ عَنِ المَعَانِي؛ فَقَدْ جَمَعَ بَيْنَ عُمْقِ الدَّلَالَةِ، وَدِقَّةِ الأَدَاءِ، وَرَوْعَةِ التَّصْوِيرِ، وَجَمَالِ النَّظْمِ، مَعَ تَمَامِ التَّطَابُقِ بَيْنَ اللَّفْظِ وَالمَعْنَى؛ وَلِذَا كَانتِ البَلَاغَةُ القُرآنِيَّةُ مِحْوَرَ التَّحَدِي الَّذِي أُقِيْمَ عَلَىْ العَرَبِ.
- إِنَّ المُخَاطَبَ فِي البَلَاغَةِ القُرآنِيَّةِ هُمُ الخَلْقُ كَافَّةً، فِي كُلِّ زَمَانٍ وَمَكَانٍ، وَعَلَيْهِ فَمَقَامُ البَلَاغَةِ فِيهَا عَامٌ يَسْتَدْعِي خِطَابًا تَشْرِيعِيًّا وَتَحَدِّيًا عَامًّا وإِعْجَازًا مُطْلَقًا، وَأَمَّا المُخَاطَبُ فِي الحَدِيْثِ فَهُمُ الصَّحَابَةُ ابْتِدَاءً ثُمَّ الأُمَّةُ مِنْ بَعْدِهِمْ تَبَعًا، وَعَلَيْهِ فَإِنَّ مَقَامَ البَلَاغَةِ فِيهَا خَاصًّا، مِمَّا يَسْتَدْعِي أَنْ يَكُونَ تَوْجِيهِيًّا تَرْبَوِيًّا وَاقِعِيًّا بِحَسَبِ الأَحْوَالِ.
- الغَرَضُ البَلَاغِيُّ فِيْ البَلَاغَةِ القُرآنِيَّةِ يَتَنَوَّعُ بَيْنَ الإِخْبَارِ وَالإِنْذَارِ، وَالوَعْدِ وَالوَعِيْدِ، وَالوَعْظِ، وَالتَّشْرِيْعِ، وَالقَصَصِ، إِلَخ، وَأَمَّا فِيْ الحَدِيْثِ فَيَغْلُبُ عَلَيْهِ غَرَضُ التَّعْلِيْمِ وَالتَّوْجِيْهِ، وَالنُّصْحِ وَالتَّأْدِيبِ.
- وَمِنْ جِهَةِ التَّأْثِيرِ فِيْ شُعُوْرِ المُتَلَقِّيْنَ فالبَلَاغَةِ القُرآنِيَّةِ تُحْدِثُ رَهْبَةً وَهَيْبَةً وَتَعْظِيْمَاً وَتَأْثِيْرَاً وِجْدَانِيًّا قَوِيًّا فِيْ نُفُوْسِهِمْ، وَأَمَّا بَلَاغَةَ الحَدِيْثِ فَتُحْدِثُ قُرْبًا وأُنْسًا وَمَوَدَّةً وَتَفَهُّمًا وَتَفَاعُلًا مُبَاشِرًا مَعَ المُتَلَقِّي.

- وَأَمَّا مِنْ جِهَةِ وَظِيْفَةِ البَلَاغَةِ، فَوَظِيْفَةُ البَلَاغَةِ القُرآنِيَّةِ وَظِيْفَةٌ تَأْسِيْسِيَّةٌ؛ تَبْنِي العَقِيْدَةَ، وَالتَّشْرِيْعَاتِ، وَالعِبَادَةِ، وَتَهْدِي لِلَّتِيْ هِيَ أَقْوَمُ. وَأَمَّا الوَظِيْفَةُ فِي بَلَاغَةِ الحَدِيْثِ فَتَوْضِيْحِيَّةٌ؛ تَشْرَحُ القُرآنَ وَتُبَيِّنَهُ، وَتُفَصِّلُ مُجْمَلَهُ، وَتُطَبِّقُ أَحْكَامَهُ.
- إِنَّ البَلَاغَةَ القُرآنِيَّةَ قَائِمَةٌ عَلَىْ التَّشْرِيعِ وَالتَّأْصِيلِ، وأما بَلَاغَةَ الحَدِيْثِ فهِيَ قَائِمَةٌ عَلَىْ التَّعْلِيمِ وَالتَّعْلِيْلِ وَالتَّفْصِيلِ.
- وَأَمَّا مِنْ جِهَةِ الأُسْلُوْبِ فَإِنَّ البَلَاغَةَ القُرآنِيَّةَ تَتَمَيَّزُ بِالسُّمُوِّ وَالهَيْبَةِ وَالْجَلَالِ، وَبِإِيْقَاعٍ صَوْتِيٍّ وَنَظْمٍ خَاصٍّ لَا يُضَاهَى. وَأَمَّا بَلَاغَةَ الحَدِيْثِ فَهِيَ أَقْرَبُ إِلَىْ التَّخَاطُبِ اليَوْمِيِّ، فِيْهَا التَّلَطُّفُ وَالشَّرْحُ وَالخِطَابُ المُبَاشَرُ.
- البَلَاغَةَ القُرآنِيَّةَ تَتَضَمَّنُ تَنَوُّعاً مِنَ الصُّوَرِ البَيَانِيَّةِ وَالبَدِيْعِيَّةِ بِتَوَازُنٍ عَجِيْبٍ وَبِلا تَكَلُّفٍ، وَأَمَّا بَلَاغَةَ الحَدِيْثِ فَأَقَلُّ كَثَافَةٍ فِي البَدِيعِ، فَيَغْلُبُ عَلَيْهَا التَّصْوِيرُ التَّرْبَوِيُّ وَالحِكْمَةُ العَمَلِيَّةُ دُوْنَ اسْتِطْرَادٍ بَيَانِيٍّ وَبَدِيعِيٍّ كَبِيرٍ.
- وَالخُلَاصَةُ أَنَّ بَلَاغَةَ الحَدِيْثِ هِيَ انْعِكَاسٌ فِي كَثِيرٍ مِنْ صُوَرِهَا لِبَلَاغَةِ القُرْآنِ؛ فَكَأَنَّهُمَا الشَّمْسُ وَالقَمَرُ؛ إِضَاءَةً وَإِنَارَةً.

تَوْصِيَاتٌ مَقْتَرَحَةٌ:

يَقْتَرِحُ البَحْثُ التَّوَسُّعَ فِي هَذَا المَوْضُوْعِ الفَرِيْدِ؛ كَأَنْ يُدْرَسَ فِي أُطْرُوْحَةِ دُكْتُوْرَاه؛ لِمَا يَشْتَمِلُ عَلَيْهِ مِنْ نَتَائِجٍ كَثِيْرَةٍ وَكَبِيْرَةٍ أَشَرْنَا إِلَىْ بَعْضِهَا فِيْ ثَنَايَا هَذَا البَحْثِ المُتَوَاضِعِ وَهُنَا فِيْ خَاتِمَتِهِ. وَاللهُ وَحْدَهُ المُوَفِّقُ، وَإِلَيْهِ قَصْدُ السَّبِيْلِ.

المصادروالمراجع:

- ✓ الأَساليب النبوية في التعليم، علي سعد محمود، بهانج دار المعمور، الطبعة: الأُولى، ١٤٣٠هـ-٢٠٠٩م.
- ✓ أَضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، محمد الأَمين بن محمد المختار بن عبد القادر الجكني الشنقيطي (ت:١٣٩٣هـ)، دار الفكر للطباعة و النشر والتوزيع بيروت، لبنان، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.
- ✓ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (ت: ١٣٥٦هـ)، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثامنة - ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م.
- ✓ إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي (ت ١٣٥٦هـ)، دار الكتاب العربي – بيروت، الطبعة الثامنة - ١٤٢٥ هـ - ٢٠٠٥ م.
- ✓ إعجاز القرآن، أبو بكر الباقلاني محمد بن الطيب (ت:٤٠٣هـ)، تحقيق: السيد أحمد صقر، دار المعارف – مصر، الطبعة: الخامسة، ١٩٩٧م.
- ✓ بحوث في تاريخ السنة المشرفة، أكرم بن ضياء العمري، الناشر: بساط، بيروت، الطبعة الرابعة، (د.ت)
- ✓ البَلاغَةُ العَرَبِيَّةُ أُصُوْلُهَا وَامْتِدَادَاتُهَا، د. مُحَمَّد العُمَرِي، أَفريقيا الشرق، بيروت، لبنان، الطبعة الأُولى، ١٩٩٩م.

- التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (ت:١٣٩٣هـ)، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤هـ.
- تطريز رياض الصالحين، فيصل بن عبد العزيز بن فيصل ابن حمد المبارك الحريملي النجدي (ت: ١٣٧٦هـ)، تحقيق: د. عبد العزيز بن عبد الله بن إبراهيم الزير آل حمد، دار العاصمة للنشر والتوزيع، الرياض، الطبعة الأَولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، أبو السعود العمادي محمد بن محمد بن مصطفى (ت:٩٨٢هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- تفسير الشعراوي (الخواطر)، محمد متولي الشعراوي (ت: ١٤١٨هـ)، الناشر: مطابع أَخبار اليوم.
- دراسات في علوم القرآن الكريم، أ. د. فهد بن عبد الرحمن بن سليمان الرومي، الطبعة: الثانية عشرة ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- دراسات في علوم القرآن محمد بكر إسماعيل (ت: ١٤٢٦هـ)، دار المنار، الطبعة: الثانية ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.
- رُوْحُ الدِّيْنِ مِنْ ضِيْقِ العِلْمَانِيَّةِ إِلَىْ سِعَةِ الانْتِمَائِيَّةِ، طه عَبْدُ الرَّحْمَنِ، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء – المغرب، الطبعة الثانية ، ٢٠١٢م.
- الصحيح من الأَمثال النبوية، أَبو أَويس الكردي، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، الطبعة الأَولى، ٢٠١٠م.
- الفرج بعد الشدة، المحسن بن علي بن محمد بن أَبي الفهم داود التنوخي البصري،(ت:٣٨٤هـ)، تحقيق: عبود الشالجي، دار صادر، بيروت، ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م.
- مباحث في علوم القرآن، مناع بن خليل القطان (ت:١٤٢٠هـ)، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الطبعة: الطبعة الثالثة ١٤٢١هـ - ٢٠٠٠م.
- مدخل إلى تفسير القرآن وعلومه، عدنان محمد زرزور، دار القلم / دار الشاميه، دمشق ، بيروت، الطبعة: الثانية، ١٤١٩هـ-١٩٩٨م.
- مفاتيح الغيب (التفسير الكبير)، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (ت: ٦٠٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة: الثالثة، ١٤٢٠هـ.
- المقدمة في فقه العصر، د. فضل بن عبد الله مراد، الجيل الجديد ناشرون، صنعاء، الطبعة: الثانية، ١٤٣٧هـ - ٢٠١٦م.
- من بلاغة القرآن، أَحمد أَحمد عبد الله البيلي البدوي (ت: ١٣٨٤هـ)، نهضه مصر، القاهرة، عام النشر: ٢٠٠٥.
- من جماليات الاستفهام في البيان النبوي، د. عبد العزيز بن صالح العمار، دار كنوز إشبيلية للتوزيع والنشر، السعودية، الرياض، الطبعة الأَولى، ٢٠١٠م.

✓ نظرات بلاغية في آيات قرآنية، د. عادل أَحمد صابر الرويني، مكتبة عباد الرحمن، مصر.

✓ نفحات من علوم القرآن، محمد أَحمد محمد معبد (ت: ١٤٣٠هـ)، دار السلام– القاهرة، الطبعة: الثانية: ١٤٢٦ هـ- ٢٠٠٥ م.

✓ نِهَايَةُ الإِيْجَازِ فِي دِرَايَةِ الإِعْجَازِ، محمد بن عمر فخر الدين الرَّازِيُّ، المكتب الثقافي للتوزيع النشر، الطبعة الأَولى، القاهرة، ١٩٨٠م.

✓ نهج البلاغة، أَمير المؤمنين علي ابن أبي طالب، جمع الشريف الرضي، موسسة المعارف، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٩٠م.

✓ هدايات الأَمثال القرآنية، د. فخر الدين بن الزبير المحسَّيّ، مركز سطور للبحث العلمي، دار الإمام مسلم للنشر والتوزيع، السعودية، المدينة المنورة، الطبعة الأُولى، ١٤٤٠هـ.

✓ وظيفة الصورة الفنية في القرآن، عبد السلام أَحمد الراغب، فصلت للدراسات والترجمة والنشر، حلب، الطبعة: الأُولى، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

المقالات:

✓ مِن مشكاة النبوة، منصورُ الأَحمد، مقال، مجلة البيان، صفر، تشرين الأَول، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٦م، السنة الأُولى.

✓ نورُ الدِّينِ قَلالة،" أَبوابُ السَّمَاءِ، بينَ العِلمِ وَالإعجازِ"، إسلام أُون لاين، ٢٠٠٣/١٢/٦، على الإنترنت: https://islamonline.net (تاريخ الزيارة: ٢٠٢٥/٧/٥).